كثافة الحجاج البلاغي في مقال الكواكبي "الاستبداد والعلم"

دراسة تطبيقية

Density of rhetorical pilgrims In Al-Kawakibi's article "Tyranny and Science"

An applied study

الدكتور الأخضر سعداني*،

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي،

sadani-lakhdar@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: **2022.02.11**

تاريخ القبول: **2022.03.25**

تاريخ النشر: **2022.03.31**

Ex PROFESSO

المجلد 07، الرقم 01، السنة2022

ملخص

يعرض هذا البحث تحليلا للحجاج البلاغي في مقال للأديب عبد الرحمن الكواكبي موسوم بـ"الاستبداد والعلم". حلل فيه الكاتب طبيعة المستبد وموقفه من تعليم المحكومين، وصور فيه نفسية الحاكم في علاقته بالعلماء وبحاشيته ، ساعيا إلى نتيجة رئيسية هي: لا تعايش بين وجود الاستبداد والعلم.

وتمثل هذه المداخلة إجابة عن الاشكالية التالية: كيف استعمل الكواكبي التقنيات البلاغية في حجاجه ضد المستبد؟ وهل كان ماهرا في فضح طبائع الاستبداد، قادرا على إثارة جماهيره المتلقية، نافثا في نفوسهم قبول الأفكار التي يؤمن بها هو نفسه ويعمل في الواقع على تجسيدها؟

الكلمات المفتاحية: الحجاج, التشبيه التمثيلي، الإقناع، الحجة، النتيجة، الكواكبي.

Abstract

This research presents an analysis of the rhetorical pilgrims in an article by the writer Abd al-Rahman al-Kawakibi, tagged with "tyranny and science". In it, the writer analyzed the nature of the tyrant and his position on the education of the governed, and depicted the psychology of the ruler in his relationship with scholars and his entourage, seeking a main conclusion: there is no coexistence between the existence of tyranny and science.

This intervention represents an answer to the following problem: How did al-Kawakibi use rhetorical techniques in his arguments against the tyrant? Was he skillful in exposing the nature of tyranny, able to excite his audience, inspiring in their hearts to accept the ideas in which he himself believes and is actually working to embody them?

Keywords : arguments, analogy, persuasion, argument, conclusion, al-Kawakibi

Url de la revue :

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/484

* -المؤلف المراسل.

مقدّمة:

المقال الذي اتخذناه مدونة تطبيقية (الاستبداد والعلم) هو أحد المقالات السياسية التي جمعها كتاب "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" للأديب الصحفي السوري عبد الرحمن الكواكبي(1855-1903م) وكان قد وضعه عام 1900م. واجه به السلطة الاستبدادية في الفترة التي عمل بها في الصحافة. وكان يرى أن أصل الداء الذي أصاب أمة الشرق هو الانحطاط الاجتماعي، وأن سببه هو الاستبداد السياسي وأن الدواء الذي يُدفع به المرض ويؤمن به الخلاص هو الشورى الدستورية.[1]

"نعم إن الاستبداد ساد في أواخر عهد الدولة العثمانية. و ترافق التأخر عن ركب التطور العلمي والتقني، مع الظلم والتعسف والاستبداد، وعشعش الفساد وحصل استغلال خطير للدين،... وعمل الأتراك على تتريك العرب، ولم يصغوا للمصلحين أمثال جمال الدين الأفغاني والسيد عبد الرحمن الكواكبي وغيرهما.[2] وهذا المقال الموسوم "بالاستبداد والعلم" خطاب للرعية الضحية المنكوبة، وللحكام الأتراك المستبدين، ولكل إنسان من ذوي العقول النيرة والنفوس الأبية والضمائر الحية في كل مكان وزمان. ولا تتأتى الغايات من هذا الخطاب إلا بتوظيف آليات الحجاج المناسبة للمقام وأقدار المخاطبين. ويتمثل جهد الباحث في هذه الدراسة في اختيار نوع من الآليات الحجاجية التي يستعملها المتكلم هي الآليات البلاغية؛ لما لها من شحنات تأثيرية وإقناعية يرتجى من المتلقي الاقتناع بتوجه المحاجج والعمل بأفكاره ودعواته.

I. منهجية الدراسة:

آثر الباحث استخدام منهج يناسب المدونة التي هي نص متواصل، تحكمه بنية فنية ومنطقية من أوله إلى نهايته، يتحكم في عرض فقراته تساوق وترابط في داخلها وفيما بينها بوشائج تحاول أن تكون منطقية لتظفر بقبول المتلقي وتسليمه بالدعاوى المطروحة.

وقد حرص الباحث قدر الإمكان على ألاّ يغادر تحليل فقرة منه إلا إذا استوفى دراسة المواقع الحجاجية المتواجدة فيها، ثم تغاضى عمّا كان مكررا من الناحية التحليلية؛ لعدم الجدوى من ذلك التكرار وقد ظهر ذلك الإغضاء في النصف الثاني من تحليل مقال الكواكبي.

وجرت هذه المنهجية على تقديم التشبيه التمثيلي أو الاستعارة التمثيلية؛ لأنهما ركيزة الحجاج البلاغي، وتحت كل منهما يورد الباحث ما جاد به حيز الصورتين من ألوان البلاغة، وروابط وعوامل وسلالم حجاجية.

II. الإشكالية المطروحة، والهدف من البحث:

وتمثل هذه المداخلة إجابة عن الاشكالية التالية: كيف استعمل الكواكبي التقنيات البلاغية في حجاجه ضد المستبد؟ وهل كان ماهرا في فضح طبائع الاستبداد، قادرا على إثارة جماهيره المتلقية، نافثا في نفوسهم قبول الأفكار التي يؤمن بها هو نفسه ويعمل في الواقع على تجسيدها؟ الهدف من الدراسة هو الإجابة عن تلك الأسئلة والانشغالات. وكان لابد من عبور جسر المفاهيم والتطبيقات حتى يصل البحث إلى بلورة الكثافة الحجاجية في مقال هذا الأديب الملتزم، ومبلغ مهاراته في استثمار التقنيات البلاغية وتطويعها في خدمة الحجاج.

III. مفهوم الحجاج:

تتقارب تعريفات المعاجم العربية لكلمة "الحجاج". فجاء شرحها في لسان العرب لابن منظور(711هـ) في مادة (ح ج ج)، يقال:" حاجته، أحاجّه حجاجا ومحاجة، حتى حججته ، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، وحاجه وحجاجا أي نازعه الحجة ، والحجة البرهان. وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. ويقال أيضا هو رجل محجاج أي جدل . والتحاجج التخاصم ... وحاجّه أي نازعه الحجّة واحتجّ بالشيء: اتخذه حجّة ... والحجة الدليل والبرهان.[3] ومما تقدم يلاحظ أن ابن منظور يجعل الحجاج مرادفا للجدل، فالجدل عنده هو مقابلة الحجة بالحجة. ويؤكد هذا بقوله : " رجل محجاج : أي جدل ".

وفي موروثنا الفكري اللغوي كلام لأبي هلال العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) حدّ به الحجاج بما نقله عن محمد بن الحنفيّة – رضي الله عنه- في تعريفه للبلاغة:" البلاغة قول مفقه في لطف؛ فالمفقه: المفهم، واللّطيف من الكلام: ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبيّة المستصعبة، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجّة؛ فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيجه وتقلقه، وتستدعي غضبه، وتستثير حفيظته".[4] فهذا الحد للبلاغة هو سبيل الحجاج؛ يضطلع بإفهام المخاطب، ويستولي على وجدانه حتى ينقاد له، ويتحاشى استفزازه، ويصل إلى حاجته وقصده في أمان.

ويقابل لفظ الحجاج في المعاجم الفرنسية مصطلح: Argumentation كما في معجم Le Grand Robert، فهو يرمز إلى مجموعة حجج تستهدف تحقيق نتيجة واحدة."[5]، بينما يشير لفظ "حجاج" Argue، على وجود اختلاف بين طرفين مع محاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره عن طريق تقديم الأسباب والعلل التي تكون الحجة Argument مع أو ضدّ فكرة أو رأي أو سلوك.[6]

ويتحصل من التعريفات المعجمية الغربية أن الحجاج فعل يسعى المحاجج به إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات التي يؤمن بها المخاطبون. ولا يخلو أي نص أو خطاب من الحجاج. وهو يتلون بلون الخطاب الذي يأتي فيه. فيكون لغويا، أو بلاغيا،فلسفيا أو سياسيا كان حجاجه كذلك؛ فكل حجاج يستمد معناه وحدوده ووظائفه من خصوصية وانتماء حقله. وهكذا يصبح الحجاج بعدا إنسانيا يتجلى في الخطابات الإنسانية المنطوقة والمكتوبة على السواء[7]. وفي توكيد هذه الحقيقة يقول الدكتور طه عبد الرحمن: "لا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطِب من غير أن تكون له وظيفة المدّعي، ولا مخاطَب من غير أن تكون له وظيفة المعترض."[8]

والحجاج كما يراه بيرلمان وتيتكا يتجاوز الحقائق والثوابت، ليتناول الحقائق المتعددة والمتدرجة؛ ذلك أن مبعثه الاختلاف، وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار، حيث يقف فيه المحاجج موقف الشريك المتعاون، من أجل تحقيق الحجاج لغايته وهي استمالة عقول المتلقين لما يعرض عليهم، ويجعل عقولهم تذعن لما يطرح عليها، وأن يزيد في درجة إذعانها بالاعتماد على وسائل التأثير في عواطفهم وخيالاتهم، وإقناعهم.[9]

ولتحقيق التسليم والاقتناع المراد، يجب على المحاجج أن يعتمد على بعض المنطلقات تكون بمثابة المقدمات التي يبني عليها استدلاله. ثم تشكل هذه المقدمات موجهات حجاجية وحاملة للاتفاق. وهذه المنطلقات هي:

1. الوقائع: وتمثل ما هو مشترك بين مجموعة من الناس، أو عند كل الناس.
2. الحقائق: وتتمثل في النظريات العلمية والأفكار الفلسفية والسياسية والعقدية ...الخ
3. الافتراضات: هي أحكام قبلية أو آراء متصورة سلفا.
4. القيم: ويكون تعاملنا مع القيم على أنها منطلق حجاجي، في الميادين القضائية والسياسية والفلسفية والدينية... وليست القيم كونية مطلقة؛ ذلك أنها تتصل بتطلعات مجموعة من البشر في ظروف معينة. ومن أمثلة القيم المجردة: العدل والحق، ومن المحسوسة الوطن.
5. الهرميات: وترتبط بالقيم، والقيم درجات ومراتب. فقيمة العدل فوق قيم نبيلة أخرى.
6. المعاني أو المواضع: أي المقدمات العامة التي يلجأ إليها المحاجج، وانطلاقا منها يبني القيم ويرتبها. وتعتبر مخزنا للحجج والأطر الناظمة لها[10]. وما ينبغي ملاحظته أنه عند تطبيق هذه المنطلقات على خطاب أو نص ما، قصد تحليله حجاجيا وتداوليا، فإنه قد تختفي منه بعض هذه المنطلقات الحجاجية تبعا لمقتضيات مقامية.

IV. الخطاب الأدبي:

يستعمل الدارسون والنقاد على اختلاف مداسهم واتجاهاتهم مصطلحي "النص" و"الخطاب" من غير أن يتضح الحد الفاصل بينهما. فعندما نقرأ بعض الدراسات نجد كثيرا منهم يستعمل مصطلح النص (Texte) وهم يقصدون الخطاب (Discours)، والآخرون عكسهم[11]. ولما كان الإطار المنهجي لمقالنا لا يتسع للإفاضة في التعريف اللغوي والاصطلاحي للمفهومين وما يتبع ذلك من كثرة التعريفات، فإننا ارتأينا أن نكتفي بتقديم القليل مما يعرّف بالمفهومين ويقرب بينهما. ويحدونا في ذلك هدفان أولهما إرادة التركيز على تحليل المواقع الحجاجية في المدونة المختارة. والآخر هو تقديم تعريفات الدارسين الذين يقربون بين مصطلحي الخطاب والنص حتى يغدو الخطاب الحجاجي هو النص الحجاجي.

والمقال الأدبي الذي اتخذناه مدونة، هو من الفنون الأدبية التي تحولت من خطاب مباشر يربط بين الخطيب وجمهوره عبر قناة متكلم – مستمع، إلى نص قصير ذي بنية فنية أشبه ما تكون بالخطبة، غير أنها مكتوبة ومنشورة في كتاب أو مجلة أو جريدة، فحولت القناة بين المرسل والمتلقي إلى كاتب وقارئ. والفضل في ذلك التحول يعود إلى ظهور تكنولوجيا الطباعة منذ القرن الثامن عشر، وانتشارها في كافة أصقاع المعمورة.

تعريف النص في الدراسات الحديثة: انطلقت الدراسات الحديثة في تعريف النص من المفهوم الغربي له، فهو مأخوذ من اللاتينية(Textus)أي النسيج. وقد عرفه فاولر Fawler بقوله:" بنية في أصلها متوالية من الجمل المترابطة فيما بينها، تشكل استمرارا ونسيجا على صعيد تلك المتوالية"[12]، فهو بنية لغوية مشكلة من متواليات جملية متعالقة فيما بينها بروابط وإحالات، تجعل منها كلا منسجما.

ومن الدارسين العرب المحدثين الدكتور محمد مفتاح إذ يعرف النص بأنه: "عبارة عن وحدات لغوية منضدة ومتّسقة"[13]. ولفظ "منضّدة" اختصر به الدلالة على ما في النص من ضمّ بعض أجزائه إلى بعض في اتساق وانسجام، وباستعمال الروابط.

V. تعريف الخطاب:

الخطاب لغة : من مادة " خطب"، يقال: خاطب خطابا، فهو مصدر على وزن: فاعَل فعالا بخلاف الخطبة، فالأصل: خطب خُطبة وهي المصدر والاسم من خطب وزنة فعل فُعلة: يقال خطب الناس وفيهم وعليهم خطابة وخطبة: ألقى عليهم خطبة.

ويقال: خاطبه خطابا ومخاطبة: كالمه وحادثه، ووجه إليه كلاما، و خاطبه في الأمر: حدّثه بشأنه.[14] فالخطاب كلام موجه إلى من يشارك فيه، وبناء "فاعل" يدل على المشاركة بين طرفي الخطاب.

المصطلح: تعدد مفهوم هذا المصطلح في الدراسات الحديثة تعدد المدارس والاتجاهات اللسانية الحديثة، حتى استشكل تعريفه وكاد يفقد الميزات التي تجمعه بالنص والجملة وتحليل الخطاب. ويعزو دومينيك مانقينو D . Maingueneau " في كتابه ((الاتجاهات الجديدة في تحليل الخطاب)) تعدد دلالات الخطاب إلى خروج تحليل الخطاب عن المجالات اللسانية أحيانا، ثم أفضى إلى تعريفه كما يلي:

1 .الخطاب مرادف للكلام عند " دي سوسير" ، وهو المعنى الجاري في اللسانيات البنيوية

2 .هو الوحدة اللسانية التي تتعدد الجملة فيها وتصبح مرسلة كلية أو ملفوظا.

3 .الخطاب ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بوساطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض "[15]

وفي مقابل هذا التعريف يأتي تصور " إميل بانفنيست، Emile Benveniste "الذي حدد الخطاب كما يلي:" يجب النظر إلى الخطاب من حيث بعده الواسع، أي من حيث هو كلام / تلفظ ، يفترض وجود متكلم ومخاطب وأن للأول نية التأثير على الثاني بشكل ما" [16]

ورولان بارث R.Barthe "يجمع الخطاب والنص معا؛ إذ يرى أن النص يظل في كل الأحوال متلاحما مع الخطاب، وليس النص إلا خطابا، ولا يستطيع أن يتواجد إلا عبر خطاب آخر" أي التناص.[17]

يستفاد من هذا العرض أنه يتضاءل الفرق بين النص والخطاب إلى درجة كبيرة، وما يتميز به النص الحجاجي أو غيره أنه يأتي محررا مكتوبا من قبل منتجه أو مرسله، وأن متلقيه جمهور القارئين الكُثر، عبر فضائي المكان والزمان. وأما الخطاب الحجاجي أو غيره فإنه يكون منتج لحظته أمام جمهور حاضر ومباشر ومحدود. وأيّا كان المرسل في الحالين فإنه يقدر ما يتناسب مع ما تقتضيه حال المتلقين الذين يستهدفهم، لأجل إثارتهم واستمالتهم.

VI. الحجاج البلاغي:

البلاغة أداة حجاجية يتخذها الأدباء جسرا إلى كسب المتلقين؛ لأنها وسيلة إلى الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة، والأساليب الجمالية. إنها تقنع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معا لكي يتقبل القضية أو الفعل المستهدف في الخطاب، وتملك البلاغة

قدرة على تحصين القيمة البرهانية للخطاب، كما تمنح منتج الخطاب قوة التعبير عن نفسه وعن الأشياء التي يصبو إلى الإقناع بها.[18]

والحجاج يتصل بالبلاغة، كما يتصل بالمنطق والفلسفة واللغة الاعتيادية، "ولما كان مجاله هو المحتمل، وغير المؤكد، والمتوقع، كان من مصلحة الخطاب الحجاجي أن يقوّي طرحه بالاعتماد على الأساليب البلاغية، والبيانية التي تُظهر المعنى بطريقة أجلى وأوقع في النفس"[19] فهو يستثمر وسائلها المختلفة للحصول على الوظيفة الإقناعية، وهي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو رأي معين، ومن ثم توجيه سلوكه إلى الوجهة التي يريدها الخطيب له، وهكذا فإن الحجاج لا يستغني عن الجمال، بل إنّ هذا الجمال يمكّن المتكلم من النفاذ إلى عالم المتلقي فكرا وشعورا.

وفي البلاغة يتربع المجاز على جملة هائلة من مباحثها، وهو أساس في الحجاج البلاغي نظرا لما يحمله من وظائف متعددة، فهو من ناحية يؤدي وظيفة استدلالية يتوجه بها إلى عقل المخاطب، ومن ناحية ثانية يؤدي وظيفة تأثيرية علي نفسية المخاطب، ومن ناحية أخرى يؤدي وظيفة جمالية تأسر ذوق المخاطب.[20]

VII. تشبيه التمثيل:

التمثيل في عملية القياس الاستدلالي:" قياسٌ الغرض من إجرائه إلباس المعاني لباسا حسيا مجسما في المشاهد والصور، أو تقريب الحقائق المختلفة. ويشترط برلمان في التمثيل أن يدخل في إطار المتفق عليه بين المتكلم والسامع، وألا أصبحت آلية الحجاج هنا دون تأثير، ولا تتحقق فعالية التمثيل إلا إذا طرح السامع من ذهنه فكرة "كل ما يطرح ليس له شبيه."[21] وبعبارة أخرى إذا كان المثل خارجا عن دائرة الاتفاق بين المرسل والمتلقي كان غير ذي جدوى حجاجية، ولذا وجب على المتلقي أن يكون مستعدا ذهنيا أو معرفيا إلى التسليم بوجود الشبيه لكل شيء.

ويقول الألمعي في تعريف قياس التمثيل :"هو إلحاق أحد الشيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدلُ الأمر الذي يدّعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو على أمر بدهي لا تنكره العقول، ويبيّن الجهة الجامعة بينهما."[22] وفي ما يخص الاستدلال بالأمر البدهي راح العزاوي يقدم أمثلة تطبيقية سلك فيها القرآن الكريم هذا النوع من الاستدلال على أدق وجه وأحكمه لتقريب ما بين الحقائق القرآنية والبداهة العقلية. والكثير من استدلالات البعث تقوم على تقريب البعث وقدرة الله عليه بما يرون من إنشاء الله لذلك الكون البديع، وخلق الانسان وبيان أطواره من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات إلى أن يصير خلقا سويا.[23]

المثل هو استقراء بلاغي أو حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتهما، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها، فيكون دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من إقناع وتأثير. وهو إلى ذلك يحمل طاقات جمالية وإبداعية. ولا يقوم المثل على المشابهة فقط، ولكنه يرد أيضا على صورة أخرى تؤدي نفس الحرارة الحجاجية، مستهدفة غاية الإقناع العقلي وحده. وتبنى هذه الصورة على ذكر لفظ" المثل" غالبا، وتزخر بها آيات القرآن الكريم، مثل قوله عزّ من قائل: [وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ][24]

والتمثيل كباقي الألوان البلاغية من استعارة وكناية والتفات وتقابل...آليات تساهم في الإمتاع، وفي نفس الوقت هي حاملات للحجاج؛ لأنها تبرز الفكرة وتطرحها بشكل مؤثر ومقنع. إنها تخاطب العقل وتخاطب الإحساس والانفعال أيضا.

تشبيه التمثيل الأول:

في أي وضعية حجاجية يسعى المتكلم أو الخطيب إلى أن يكون خطابه مؤثرا، الأمر الذي يستدعي منه إيجاد تلاؤم وتكيّف مع المتلقي لكي ينال تسليمه وقبوله، ثم يجعل من ذلك التلاؤم والتكيف منطلقا أو مقدمة يبني عليها حجاجه. يرى بيرلمان:" أن غاية الحجاج هي أن تختص النتائج بنفس الاستمالة أو القبول الذي تختص به المسلمات. وتفاديا للفشل في أداء القصد، فإن الخطيب لا ينبغي له التسليم إلا بالمسلمات التي تتمتع بقبول كاف، أو التي تكون مقبولة أيضا عند المستمع[25]" وهذا ما حرص الكواكبي على توفيره من خلال توظيفه لبنية حجاجية يتلاءم فيها كل من الأديب والمتلقي وينطلق منها في مسار حجاجي مآله إلى التأثير والإقناع، فكيف ذلك؟

وظف عبد الرحمن الكواكبي تشبيه التمثيل في كشفه لحقيقة الحاكم المستبد المتجبر في حق الأمة الإسلامية، وذلك بصياغة محكمة قرّب بها بين الحقائق الواقعية والبداهة العقلية والوقائع المحسوسة، ومن ذلك قوله في مطلع المقال:" ما أشبه المستبدَّ في نسبته إلى رعيته بالوصيّ الخائن القوي، يتصرّف في أموال الأيتام وأنفسهم كما يهوى ما داموا ضعافاً قاصرين."[26]

فقد نسج تشبيه التمثيل من صورتين معقدتين تحمل كل منهما علاقة بعض العناصر ببعض، وقام الأديب بدعوى المساواة بين الصورتين، ليتسنى للمخاطبين القيام بقياس استدلالي، يتوصلون به إلى إسقاط الحكم أو الحال المقبول في صورة المشبه به على صورة

المشبه لتنال نفس القبول عند المرسل إليه، وهكذا تصبح الصورة التمثيلية ذات قوة تأثيرية وإقناعية من شأنها توجيه موقف وسلوك المخاطبين.

وهاهنا يوازن عبد الرحمن الكواكبي صورة الحاكم المستبد، في نسبته إلى رعيته، يهملها ويسلبها حقوقها الاجتماعية والسياسية وغيرها (وهي الصورة المراد الاحتجاج على فظاعتها ومن ثم محاربتها) يوازنها بصورة الوصي الخائن القوي في علاقته بأيتام أغنياء، يتصرف في أموالهم وأنفسهم بمحض هواه، وليس كما ألزمه شرع الله في القيام بمهمة الوصاية على الأيتام. ومضمون هذه الصورة الأخيرة مستمدّ من المعارف الأولية المشَكِّلة للثقافة المشتركة بين أبناء الأمة الإسلامية، ولا يكاد أحدهم يتعلم شيئا من منهاج هذا الدين إلا وقد أحاط علما بمسؤولية المسلم الذي كلِّف بمهمة القيام على أمر الأيتام.

ولم يتخذ الكواكبي النظام الديمقراطي الحديث مقيسا عليه رغم ما فيه من مزايا؛ لعلمه بأن النظام الاستبدادي لا يسمح للرعية أن تتنور بالعلوم الإنسانية والاجتماعية والسياسة والقانونية وغيرها من العلوم التي تعرّف الإنسان بحقوقه وترقى بإنسانية. ولو فعل الأديب ذلك لكان خاطب المتلقين بما تخلو منه ثقافتهم، ولكان قطع عليهم إمكانية تصور المقيس عليه الذي يشكل دعامة رئيسة في الحدث الإقناعي، ولكان قضى على مبدأ التعاون والتحاور الذي يعتمد عليه الخطاب الحجاجي في سبيل نجاعته وتداوليته.

والنتيجة التي يستهدفها الكاتب هي تحسيس الرعية بان من يسوسهم طاغية متجبر، لا همّ له إلا العبث بهم وبأموالهم، وأنهم ملزمون باقتحام جبهات من الجهاد، يخرجون بخوضها من ربقة الجهل والخضوع والتخلف والفقر.

ويمكن إجمال وتقديم تشبيه التمثيل الحالي في الجدول التالي:

مركب المشبه وعناصره		أداة التشبيه	مركب المشبه به وعناصره		صفة ما بين قوسين
1	(الحاكم)		1	الوصي	مضمر
2	المستبدّ(خائن قوي)	ما أشبه !	2	الخائن القوي	صفات المستبد مدلول عليها بما يناظرها من صفات الوصي. كما توحي بها كلمة "المستبد"

3	نسبته إلى رعيته		3	وصيّ على أيتام	
4	(يسوس أموال الرعية وأنفسها، كما يهوى)		4	يتصرف في أموالهم وأنفسهم كما يهوى.	فعل المستبد السيئ مدلول عليه بما يناظره من عمل الوصيّ.
5	(ما داموا **يجهلون** حقوقهم في العيش الكريم)		5	ما داموا ضعافا قاصرين	حال الرعية ملحوظة بالنظر إلى حال الأيتام المذكور؛ ذلك أن ذكر النظير يدل على النظير[27]

ولأن التمثيل يملك هذه القدرة الجمالية والتأثيرية والإقناعية، يقول عنه عبد القاهر الجرجاني(المتوفى: 471 ه): "واعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه، أن «التمثيل» إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصارفي معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبّهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشبّ من نارها، وضاعف قواها في تحريك النّفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا... فإن كان مدحا، كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهزّ للعطف... وإن كان ذمّا، كان مسّه أوجع، وميسمه ألذع، ووقعه أشدّ، وحدّه أحدّ، وإن كان حجاجا، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر"[28]

للتمثيل إذن هذه القيمة البلاغية، والمزية الجمالية، والطاقة الحجاجية التي أجمع الحكماء على توفرها بين ثناياه.

التعجب: جاء التعجب في قوله: "ما أشبه المستبد في نسبته إلى رعيته بالوصي الخائن القوي، يتصرف في أموال الأيتام وأنفسهم كما يهوى ما داموا ضعافا قاصرين.[29]

عبد الرحمن الكواكبي وهو الأديب المصلح الملتزم، يتوجه بكلامه إلى المحكومين العرب المسلمين في بلد سوريا والى من كان في شبه حالهم، يحدثهم عن الضرر الحالّ بهم في عامة شؤونهم، فاستعمل أسلوب التعجب؛ لأجل إثارة دهشة المخاطبين وحيرتهم، وحملهم على البحث عن السبب الذي لأجله كان الحاكم المستبد مشابها للوصي الخائن. وتكون نتيجة البحث والتفكر أن ما يقوم به المستبد من تعسف وإجحاف في حق الرعية لا مبرر له، وأنه فاقد للسبب المعقول الذي يكسبه شرعية دينية أو قانونية أو إنسانية على ما يفعل. ويرتبط بتلك النتيجة أن الأديب مشحون عدائية وممتلئ قلبه غيضا على المستبد، بقدر ما هو يفيض

رحمة ورقة وانصافا تجاه الرعية المستبد بها. وهكذا يكون أسلوب التعجب محركا تداوليا يحمل المخاطب على إعمال ذهنه بحثا عن الأسباب التي تتيح للمستبد هذا الإجحاف.

ولو أن عبد الرحمن الكواكبي استهل المقال بالإخبار لقال:" يشبه المستبدَّ في نسبته إلى رعيته الوصيَّ الخائنَ القويَّ يتصرف في أموال الأيتام وأنفسهم..." لكن الإخبار لا يضغط على المخاطب ولا يستفز نفسه ولا يثير ذهنه بحثا عن السبب الكامن وراء المتعجب منه. وكل ما يردّ به على الموقف يكون تصديقا أو تكذيبا هامدين.

الروابط والعوامل والسلالم الحجاجية في هذا التمثيل الأول:

يكمن دور الروابط الحجاجية واستثمار دلالاتها في ترتيب الحجج، ونسجها في خطاب واحد متكامل؛ إذ تفصل مواضع الحجج، بل وتقوي كل حجة منها الحجة الأخرى، انطلاقا من أنه عندما يكون تحت تصرفنا عدد من المعطيات، فإننا نمتلك إمكانات هائلة، لنتمكن من الربط بينها. ويعد الاختيار من بين هذه الروابط الخطابية مهما بقدر أهميته في التصنيفات أو في الصفات. ثم إن وظائف الروابط الحجاجية لا تنحصر في الربط النسقي على المستوى الأفقي، بل تتجاوز ذلك إلى الترتيب العمودي، أو السلم الحجاجي.

في وصف الوصي قال الكواكبي: "الخائن القوي" بذكر صفة الخيانة أولا، وإتباعها بصفة القوة، لتقرير الدرجة المرتفعة للخيانة، ولتصورها منتشرة في جميع أعماله، ولإدراك أن قوته قوة سلبية قمعية تحديدا. ومن ثم فإن الخيانة والقوة مقدِّمتان أو حجتان تترتب عنهما نتيجة سلوكية تتجسد في واقع المستبد، بل هي ظل ملازم لما ينطوي عليه من أخلاق، فنراه "يتصرف في أموالهم وأنفسهم كما يهوى". وهي النتيجة التي يرفضها الكواكبي ويحاربها. ويمكن تمثيل هاتين المقدمتين مع نتيجتهما في هذا السلم الحجاجي:

النتيجة: يتصرف في أموال الأيتام وأنفسهم

الحجة 2(القوة)

الحجة1(الخيانة)

ومن منظور الاحتباك البلاغي، وصف الأديب الحاكمَ المستبدَّ من خلال وصف الوصي الخائن القوي، وبذكر أعماله الشنيعة من تصرف لا مسؤول في قوله: "يتصرف في أموالهم وأنفسهم"، فذكر "أموال الأيتام" أولا وعطف عليها بالواو عبارة "وأنفسهم". وإذا تأملنا ما أضيف إلى كلمة "الأيتام" وجدناهما "الأموال" "والأنفس" وهما في مجموعهما المقاصد الخمسة التي جاءت الشريعة الإسلامية بنصوصها للمحافظة عليها. وبشيء من التأمل فإن "الأموال" في ذاتها

لا تمثل شيئا من ذات(أو نفس) الإنسان، بل وقد لا يحصل الإنسان على نصيب منها في حياته يتيما كان أو لم يكن، ولا يؤثر ذلك الحرمان في جوهر الإنسان وعقيدته.

وأما كلمة "أنفسهم" فهي تتضمن المكونات الأربعة الباقية التي تشكل ذات الإنسان وشخصيته، بعضها جسمي وهو البدن والعقل، وبعضها معنوي وهو العِرْضُ والدين. وهذه المكونات هي بقية مقاصد الشريعة التي حافظت عليها في نصوصها من قرآن وسنة. وإن الترتيب الواضح بين المعطوفين ترتيب يمنح المقدمتين منطقية وقوة في التدرج الحجاجي؛ من حيث أن "الأموال" هي شيء يطرأ على الإنسان وليس من الضروري أن يصاحبه أو يكون جزءا من شخصيته، بينما تؤلف الجوانب الأربعة المجموعة في كلمة "أنفسهم" عددا زائدا على "المال" ومختلفا عنه، أي أربعة أمور لصيقة بالإنسان، لا منفصلة عنه.

وأما النتيجة التي تفضي إليها المقدمتان فهي نفسها نتيجة وصف الوصي بالخيانة والقوة، أي "الظلم والاستغلال" ومن ورائها مقصدية التغيير أو الفعل الإنجازي المراد نفخه في روح المتلقين: التنديد بالخائن واستنكار صفاته وأفعاله، والتخندق في الصفوف المناوئة لوجوده.

وقال عبد الرحمن الكواكبي :"... ما داموا ضعافا قاصرين" استعمل "ما" المصدرية الظرفية، فصارت قيدا في الجملة، يسمى عاملا حجاجيا يؤثر في نسبة الدعوى المطروحة تأكيدا أو ضعفا او احتمالا أو توقيتا... والظرف هنا يحدد حال الأيتام الذي يسمح للوصي المذكور بإعمال التعسف والابتزاز في حقهم.

تشبيه التمثيل الثاني:

ختم الكاتب الفقرة الأولى بقوله:" فكما أنّه ليس من صالح الوصيّ أن يبلغ الأيتام رشدهم، كذلك ليس من غرض المستبدّ أن تتنوّر الرعية بالعلم."[30]

يحتوي هذا القول على تشبيه تمثيلي، من حيث أنه يتضمن وضعين متماثلين، يراد قياس أحدهما على الآخر لأجل إلحاق حكم المقيس عليه بالمقيس. والمقيس (أو المقدمة) هو الواقع الذي غاب عن علم الرعية وجهلت خطره عليها رغم تخبطها في شركه. والمقيس عليه هو الواقع المعلوم والمقرر في المعرفة الدينية الراسخة في العقل المشترك للرعية. والحكم (أو ناتج القياس)الذي يهدف عبد الرحمن الكواكبي إلى إيصاله للمخاطبين المباشرين هو: أن المستبد قبيح وممقوت، وخطر جاثم على صدر الأمة، لابد من معاداته، ووضع حد لاستمراره، وإزاحته في أقرب الأوقات.

استدلالا بهذا التمثيل، توصل الكواكبي إلى تحقيق هدفين:

الأول- كشف إحدى طبائع الاستبداد وهي المتمثلة في حرصه الشديد على إبقاء شعبه متخبطا في ظلمات الجهل.

الثاني- بدلالة فحوى الخطاب فإنّ الكواكبي يدعو إلى التأسيس لبنية واقع مرغوب، يوعز للرعية بطلب العلم النافع ومواجهة الحياة بشجاعة وثبات. ويمكننا تنزيل تحليل هذا التشبيه التمثيلي في الجدول التالي:

مركب المشبه وعناصره		أداة التشبيه	مركب المشبه به وعناصره	ملاحظة
1	المستبد	كما...كذلك	الوصي الخائن	ورد طرفا التشبيه على خلاف الترتيب المألوف، وكذا أداة التشبيه جاءت متصدرة لا متوسطة بينهما، وبذلك شحنت الأداتان بالدلالة المنطقية الحجاجية.
2	ليس من غرضه		ليس من صالحه	
3	أن تتنوّر الرعية بالعلم		أن يبلغ الأيتام رشدهم	

ولإبراز هذه النتيجة استعمل الكواكبي في قوله ألفظا خاصة بسوق المقدمة والنتيجة، وهي: فاء السببية، و"كما"، و"كذلك"

التشبيه التمثيلي الثالث:

قبل أن يذكر الكواكبي هذا التشبيه مهّد له بقوله:" لا يخفى على المستبد مَهْمَا كان غبيّا، أن لا استعباد ولا اعتساف إلا ما دامت الرعية حمقاء، تخبط في ظلامة جهل وتيه عماء".[31] وهذه العبارة تتشكل من طرح (مقدمة)هو: اتصاف الرعية بالحماقة والتخبط في ظلمات الجهل والتيه، وينبني عليه نتيجة تقدّم ذكرها على الطرح، وهي: ممارسة الاستعباد والاعتساف في حق الرعية. وهذه النتيجة هي نفسها طبيعة المستبدّ التي ترقى على كل الظنون، لصيقة به حتى مع افتراض أنه حيوان، يفقد التفكير والذكاء، فما بالك إذا كان على حظ منهما؟

افتتح الكواكبي حيز هذا التشبيه بذكر نتيجة جعلها سابقة عن المقدمة؛ لينتبه المتلقي إلى ما تحمل العبارة من خوارق تخرج عن المعاملة الإنسانية النبيلة. ولبلورة طبيعة المستبد المقيتة ولتقريبها من المحسوس المفهم للمتلقي، لجأ الكاتب إلى تأسيس انطلاقته الحجاجية من الفرضيات، مستعملا الوصل السببي وهو(لو مع شرطها وجوابها) ليتخذ منه تفسير وتعليلا يقود إلى الاقتناع بتلك النتيجة، فقال:" ...فلو كان المستبد طيرا لكان خفاشا يصطاد هوام العوام في ظلام الجهل"[32] ولا يخفى ما في العبارة من استحضار القبح وبشاعة الاستغلال وغير ذلك من النعوت المنكرة التي يعرفها المتلقي عن الخفاش. وقال:" ... ولو كان وحشا لكان ابن

آوى يتلقف دواجن الحواضر في غشاء الليل"[33] ولا يخفى ما في ذكر ابن آوى من حضور معاني الحيلة والخداع والخبث والوحشية...وهكذا تضمن التركيب الشرطي المكرر مرتين جميع النعوت الخبيثة للحيوانين وبالمماثلة يتم تمريرها صفات لصيقة بالحاكم المستبد. وبشيء من التأمل نجد الكواكبي استعمل كلاّ من التركيبين الشرطيين طرفًا في التشبيه التمثيلي المزدوج الآتي بيانه.

قايسَ الأديبُ المستبدَّ على أخبث وأشرس الحيوانات في تشبيهين تمثيليين، اتّحد فيهما المشبّه وهو:"(المستبدّ (إنسان يعرف) أن لا استعباد ولا اعتساف إلا مادامت الرعية حمقاء تخبط في ظلامة جهل وتيه عماء). والمشبه به الأول (الخفاش يصطاد هوام العوام في ظلام الجهل) والمشبه به الثاني(ابن آوى يتلقف دواجن الحواضر في غشاء الليل.)

إن أساس هاتين الصورتين افتراضي استعمل له الكواكبي الأداة (لو)، ورام من خلال توحيد المشبه ومضاعفة المشبه به توكيدَ صورة المستبد اللاإنسانية وتفصيل طبيعته الوحشية. ويعمل كلّ من التوكيد والتفصيل على اكتشاف حقيقة هذا الحاكم أمام جمهور المتلقين المعنيين مباشرة، وكذا من يقرأ أو يسمع خطاب الكواكبي في كل آن ومكان. كما يعمل التوكيد والتفصيل على الإثارة القوية لنفورهم وتقززهم من أعماله، وإقناعهم بإعلان الحرب على وجوده؛ لأن وجوده قائم على تجهيل وإفساد وإفناء حياة الآخرين عن اعتمال وعمد، أو حتى عن طبع مثل الغريزة الحيوانية.

ومن الناحية الأسلوبية، يجب أن نلاحظ أن هذا التشبيه التمثيلي المتميز بني على شاكلة لا تتوافق مع معهود النماذج القياسية لتشبيه التمثيل البلاغي؛ من حيث أن أداة التشبيه ليست ملفوظة ولكن ملحوظة. ويمكن أن نعرض هذا التشبيه التمثيلي المزدوج على شاكلة التشبيه التمثيلي الثاني كما يلي:

كما أنّ الخفاش يصطاد هوام العوام في ظلام الجهل، كذلك المستبد (لا يخفى عليه – مهما كان غبيا-) أن لا استعباد ولا اعتساف إلا مادامت الرعية حمقاء تخبط في ظلامة جهل وتيه عماء.

وكما أن ابن آوى يتلقف دواجن الحواضر في غشاء الليل، كذلك المستبد (لا يخفى عليه –مهما كان غبيا-) أن لا استعباد ولا اعتساف إلا مادامت الرعية حمقاء تخبط في ظلامة جهل...

ويعقب الكواكبي على التشبيه السابق بعبارة :" ولكنه هو الإنسان يصيد عالمه جاهله" وتتضمن النتيجة نفسها التي اتخذها الكاتب مشبها مركبا قبل هذا. وكأنه هنا يريد أن يؤكد النتيجة عن طريق التذكير بها بعد الفراغ من إجراء القياس.

ومن منطلق هذه المحاجة يصل الكواكبي إلى إقرار حقائق وأحكام وآراء تصْدُق على المستبد متمثلة في حرصه على حصر رعيته في حالك الجهل، وتغييب نور العلم عنهم.
وهذا تنزيل في جَدْوَل، لما تقدم من تحليل التشبيه التمثيلي المزدوج:

	مركّب المشبّه وعناصره	أداة التشبيه		مركّب المشبه به الأول وعناصره	مركّب المشبه به الثاني وعناصره	ملاحظات
1	المستبد لا يخفى عليه- مهما كان غبيا	الأداة ملحوظة ويمكن تقديرها على سمت التشبيه التمثيلي الثاني السابق أي: كما أنّ... كذلك...	1	الخفاش (بغريزته)	ابن آوى (بغريزته)	أداة التشبيه غير مصرح بها كما في النماذج القياسية لتشبيه التمثيل البلاغي
2	الاعتساف والاستعباد		2	يصطاد	يتلقّف	
3	(واقعان على الرعية)		3	هوام العوام	دواجن الحواضر	الكلام الواقع بين قوسين في الجدول، عبارة عن شروح أو تقديرات بسيطة مأخوذة من سياقات النص الأدبي.
4	ما دامت الرعية حمقاء. تخبط في...عماء (زمان الاستعباد والاعتساف)		4	في ظلام الجهل (زمان الاصطياد)	في غشاء الليل(زمان التلقّف)	

الألوان البلاغية في حيز هذا التشبيه التمثيلي:

أسلوب القصر، والاعتراض: هما من العوامل الحجاجية التي لا تغير الفكرة، ولا تحول الحجة، ولكن تمدهما بما يزيد في قوتهما أو يقلل من ذلك، مثل قول الكاتب:" لا يخفى على المستبد مَهْمَا كان غبيّا، أن لا استعباد ولا اعتساف إلا ما دامت الرعية حمقاء..."[34] فالاعتراض

تجسد في الشرط(مهما كان غبيا) فأعطى جملة الجواب المتقدم نوعا من الإطلاق، أي: انتفاء الخفاء على المستبد انتفاء مطلقا.

والقصر:" لا استعباد ولا اعتساف إلا مادامت الرعية حمقاء"، أفاد أن المستبد بعلمه وتجربته توصل إلى حقيقة دقيقة، لا يشك في مصداقيتها وجدواها، وهي تتمثل في انحصار الاستعباد والاعتساف في الرعية الحمقاء الجاهلة، ومتى تنورت بالعلم زال الاستبداد.

الإطناب والسجع: جاءا معا في قوله:" ...إلا ما دامت الرعية حمقاء، تخبط في ظلامة جهل وتيه عماء". والإطناب إجراء أسلوبي يلجأ إليه البليغ الذي يقدّر نصيب المخاطب من الفهم والتأثر، فكرر المعنى بألفاظ وعبارات مختلفة، زيادة في الإفهام والتأكيد على معنى "الحماقة." وجاء الإطناب أيضا في قوله:" وفي " ... لو كان المستبد طيرا لكان خفاشا يصطاد هوام العوام في ظلام الجهل، ولو كان وحشا لكان ابن آوى يتلقف دواجن الحواضر في غشاء الليل". إن كلا من العبارتين في هذا القول تقيم افتراضا بالأداة لو، يفضي إلى نتيجة مفادها أن المستبد عبارة عن مخلوق معروف هو الخفاش. وكان يكفي هذا الافتراض، غير أن الكواكبي أراد أن يعيد الكرة فتوصل إلى أنّ المستبد عبارة عن محلوق معروف أيضا هو ابن آوى. ولم يعد الصورة عبثا، ولكن تطرية لقلوب المخاطبين وتنويعا في التخييل.

وفي العبارات المتقدمة نفسها تسجيع يضفي على الكلام رونقا موسيقيا تطرب له الأذن وتشغف به النفس ويعلق بالقلب.

والسجع هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد، والأصل فيه إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل اليه بالطبع، والى هذا يضاف أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة، وأن يكون اللفظ تابعا للمعنى لا العكس.[35] ومن شأن البديع الأصيل أنه يستوفي مطالب المعنى واللفظ، فيطرب، ويؤثر أيما تأثير. وذاك هو وجهه في الحجاج.

التشبيه التمثيلي الرابع:

توصل الكواكبي بأساليبه الحجاجية إلى إفهام وإقناع المتلقين أن المستبد شرّ، وأن سلاحه كامن في تجهيل المحكومين، وأن وجوده مرهون بإضعاف وإفناء الآخرين. وأنه لا انفراج للنكبة السياسية والاجتماعية إلا بسَلْكِ طريق التنوير بالعلم أوّلًا، كأنه يهيئ المتلقي من جمهوره المباشر أو غير المباشر لأن يطرح السؤال: لماذا العلم؟

لذلك واصل الكواكبي فقراته وكأنه أجابهم بقوله:" العلم قبسةٌ من نور الله، وقد خلق الله النّور كشّافاً مبصراً، يولّد في النفوس حرارةً وفي الرؤوس شهامةً، العلم نور والظلم ظلام، ومن طبيعة النّور تبديد الظّلام، والمتأمل في حالة كلّ رئيس ومرؤوس، يرى كلّ سلطة الرئاسة تقوى وتضعف بنسبة نقصان علم المرؤوس وزيادته".[36]

من أجل الوصول إلى غايته الإقناعية انطلق الكواكبي مستعملا حجة مؤسسة على بنية الواقع، ويمكن للمتأمل أن يلحظها، يقول بيرلمان:" بمجرد ما يتم الجمع بين عناصر من الواقع في علاقة معترف بها، يصبح من الممكن أن نؤسس عليها حجاجا يسمح بالمرور مما هو مقبول إلى ما نسعى لجعله مقبولا"[37]

الواقع المقبول عند المخاطبين حقيقة أن العلم نور من عند الله، والحكمة تقول "العلم نور والجهل ظلام". ومضمون عبارة "العلم نور" لا يتسرب إليه الشك ولا يطاله الخطأ في اعتقاد المتلقين؛ لأنها الحكمة التي لا ينطق بها إلا الخاصة من ذوي البصيرة والتجربة، وبتعبير آخر: الحكمة سلطة حجاجية في حد ذاتها لا فرق بينها وبين الوقائع والحقائق والأمثال.

ثم بنى الأديب على "النور" ما يتفرع عنه من حقائق طبيعية؛ فقد خلقه الله قوي الكشف لما هو خفي، وأن المتمتع بالنور يهتدي به، ويبصر ما حوله بقوة. ويكون على بينة ووضوح من أمره. كما أضاف الكواكبي شيئا آخر داخلا في طبيعة النور، وهو تبديده للظلام. وجميع هذه الطبائع المرتبطة بالعلم هي مسلمات تشترك العقول في قبولها وحبها وتقديسها وطلبها، والذود عنها.

وبما أن "العلم نور"(وجعل العلم مثله)، فما كان للنور من أوصاف ننعتها بأنها حقيقة ملموسة، (وقد خلق الله النور كشافا مبصرا، ولاّدا للحرارة والقوة) فهي للعلم كذلك، ونعلمها بطريق الاستدلال، وننعتها بأنها مجاز؛ فالعلم قوي في الهدي إلى سبل الخير، كما هو قوي في إبراز عيوب ما هو شر مستتر، وأنه يبعث في نفوس البشر حرارة معنوية تجعلهم يطمحون ويتطلعون، ويولّد في رؤوسهم شهامة وحيوية باعثة على التفكير والارتقاء. ثم يسكت الأديب عن الإتيان بنظير عبارة " ومن طبيعة النور تبديد الظلام"؛ لأن السياق اللغوي، وكذا نباهة المخاطبين يتكفلان بتقدير العبارة المحذوفة، وهي حقيقة أن " من طبيعة العلم طرد الجهل."

وهذا تنزيل للتشبيه التمثيلي الرابع في جدول يختصره:

	مركب المشبه وعناصره	أداة التشبيه	مركب المشبه به وعناصره	ملاحظة
1	العلم	مثل	النور	ورد طرفا التشبيه على خلاف الترتيب المألوف. الكلام الواقع بين قوسين في الخانة الأولى من الجدول، عبارة عن شروح أو تقديرات بسيطة مستخلصة من سياقات النص الأدبي.
2	وضّاح للخير فضّاح للشر		كشّاف مبصر	
3	يولد في النفوس حرارة وفي الرؤوس شهامة		ولاّد للحرارة والقوة	
4	+ (طرد الجهل)		+ تبديد الظلام	

ويمكن تقديم تلك العلاقة العكسية في صورة علاقتين متقابلتين هما:

(الرئيس + المرؤوس+ نقصان علمه ⟵ سلطة الرئاسة قوية.)

(الرئيس + المرؤوس+ زيادة علمه ⟵ سلطة الرئاسة ضعيفة.)

ومن الملاحظ أنّ العلاقة العكسية المتقدمة لم تحدّد وصفا للرئيس بأنه يعلم؛ لأنّ أمثلة ذلك من النص كثيرة نحو(...مهما كان غبيا...)، (...هو الإنسان يصيد عالمه جاهله)، (يعرف أن الزمان ضنين...)...[38] الخ

والعلاقة الأولى تمثل النسبة الراهنة بين الرئيس والمرؤوس. بينما تمثل العلاقة الثانية النسبة المأمولة التي يطمح إليها الكواكبي، ويستفزّ قومه لارتيادها مسخرا جميع وسائله الحجاجية.

وإذا كان العلم الذي يتنور به المرؤوسون يقهر الاستبداد فيجعل سلطته ضعيفة، وبالتالي لا يتسع له إلا أحد الأمرين: الاعتدال أو الاعتزال، فهل يخشى المستبد من كل العلوم؟ هذا ما يسخّر له الكواكبي ترسانة حجاجية أخرى يقدمها في فقرات تالية. وفيها يحدد العلوم التي لا يخشاها البتة أو التي لا يخشاها إلا مشروطة، والتي لا يخافها لندرة وقوع خطرها على الاستبداديين في التاريخ القديم والحديث في الشرق والغرب. ومن هذه العلوم علوم اللغة.

ويجمل بنا أن نقدمها ملخصة في مخطط سلم حجاجي قائم على المقدمة والنتيجة:

النتيجة: علوم اللسان التي لا يخشاها المستبد.

مقدمة 2 والتي ليس فيها لسان يثير حماسة الناس بحكمته أو سحره، فيعقد ألوية، أو يحل أخرى

مقدمة1 علوم اللغة التي بعضها يقوّم اللسان، والباقي منها هزل وهذيان، يضيع به الزمان.

هاتان المقدمتان الحجاجيتان تقدمتا رتبةً عن النتيجة، وسلكتا تراتبيةً حسب قوتيهما ودعامتيهما الحجاجيتين، فكانت المقدمة التالية أقوى من سابقتها وأقرب إلى النتيجة، ثم كانت جميعها مُفضية إلى النتيجة العليا. وهي نتيجة قوية في الإقناع بأن علوم اللغة لا تشكل خطرا على الوجود الاستبدادي، ولذا كانت من العلوم التي لا يخشاها.

ولا يخفى ما تعج به المقدمة الأولى من أسجاع متوازية متعادلة: " ...بعضها يقوم اللسان، وأكثرها هزل وهذيان، يضيع به الزمان". تزخر بالمعطيات الموسيقية والدلالية ذات التحفيز والتأثير.

الاستعارة والمطابقة:

والحجة الثانية التي هي:" ...إذا لم يكن وراء اللسان حكمة حماس تعقد الألوية، أو سحر بيان يحل عقد الجيوش"[39] تحتوي على المطابقة التي جمعت بين متقابلين (تعقد الألوية- تحل عقد الجيوش)[40]. واجتماع المتقابلين في نفس العبارة، يعرض طرفي القدرة العجيبة والقوة الغريبة التي قد يحظى بها قلّة من فطاحلة الخطباء أو الشعراء أصحاب الحكمة والحماسة والبيان الساحر، فيؤلفون بألسنتهم جيوشا لنصرة الحق، ويحلُّون جيوشا انعقدت لنصرة الباطل. وأصحاب هذه الألسنة يعرف المستبد ندرتهم في الزمان والمكان.

والمتقابلان في الوقت ذاته استعارتان تصريحيتان فرعيتان، تصور الأولى الأديب بلسانه ينطق الحكمة فيثير حماسة الناس، فيعقد منهم الألوية لخدمة حق. ولفظ "الألوية" حقيقة، وهو الجيوش، وأما الفعل "يعقد" فهو بمعنى "يصنع وينظم"، ونظرا لما بين الفعلين من اشتراك في الدلالة على الحبك والإبرام والتنظيم، استعمل المصدر "العقد"، واشتق منه المضارع "يعقد". والجيوش تعقد فتكون خناقا قويا على عدوها.

كما تتوصل ألسنة أولئك الفطاحلة بسحر بيانها المؤثر في المقاتلين إلى حل جيوش العدو التي عقدها خدمة لباطل. والمصدر "حل عقد الجيوش" هو بمعنى "النقض والإبطال والإلغاء" ونظرا لما بينهما من اشتراك دلالي استعمل الكواكبي عبارة "حل عقد الجيوش" واشتق منها الفعل المضارع "يحل"، وذلك لتقريب معنى العظمة والهيبة التي تكون لفرسان الكلمة والشجاعة لمّا ينفثون بألسنتهم في عقد الجيوش فتنحل.

ومن العلوم التي لا يخافها المستبد العلوم الدينية المختصة بالعلاقة الجامعة بين الإنسان وربه، والسبب اعتقاده بأنها لا ترفع غباوة ولا تزيل غشاوة. كما أنه يأمن المتهوسين بهذه العلوم بعد أن تمتلئ بها أدمغتهم ويأخذ بهم الغرور كل مأخذ. وأن الحاكم يجد الوسيلة لتطويعهم في صالحه. وهذا مخطط يمثل هذا السلم الحجاجي:

النتيجة: المستبد لا يخاف العلوم الدينية

المقدمة 3: أنه يجد الوسيلة لتطويع علمائها في صالحه.

المقدمة 2 أنه يأمن المتهوسين بهذه العلوم بعد أن تمتلئ بها أدمغتهم ويأخذ بها الغرور.

المقدمة 1 اعتقاده بأنها علوم لا ترفع غباوة ولا تزيل غشاوة.

وهذه المقدمات متنوعة فيما بينها وليست بالضرورة بعضها أقوى من بعض، ولكنها- مجتمعة- تخدم النتيجة المراد إثباتها لتكون العلوم الدينية من سائر العلوم التي لا يخشاها المستبد. وتتحد هذه المقدمات في أنها وليدة تفكيره وغروره، واستهانته بالعلماء الجادّين.

ومن العلوم التي لا تمثل تهديدا لوجوده العلوم الصناعية المحضة. والسبب راجع إلى كونهم مسالمين، صغار النفوس، صغار الهمم، يشتريهم المستبد بقليل من المال والإعزاز.

وهذا القول الحجاجي يمثل كما يلي:

النتيجة: المستبد لا يخاف العلوم الصناعية المحضة.

المقدمة 3: اعتقاده بأنه يشتري علماءها بقليل من المال والإعزاز.

المقدمة 2 اعتقاده بأن علماءها صغار النفوس، صغار الهمم.

المقدمة 1 اعتقاده بأن علماءها مسالمون.

وبقي بعد ذلك السؤال التالي: ما هي العلوم التي يخشاها، ومن العلماء الذين يهابهم؟

إن العلوم التي يخشاها المستبد، بل ترتعد فرائصه منها هي علوم الحياة (النتيجة)، التي مثّل الكاتب لكثيرمنها، ويعود موقف المستبد منها إلى كونها تكبّرالنفوس وتوسع العقول وتعرّف الإنسان ما هي حقوقه(المقدمة).

وأما أصحاب علوم الحياة الذين يخافهم بشدة (النتيجة) فهم الذين يندفعون إلى تعليم الناس بالخطابة أو الكتابة (المقدمة) وهم الذين عبّر عنهم القرآن بالصالحين والمصلحين.

ثم يقدم الكواكبي خلاصة يجدد فيها النتيجة المتكررة من قبل وهي: خوف المستبدين من العلماء العاملين الصالحين المصلحين لا عكسهم.[41]

ويواصل الكلام عن بغض المستبد للعلم، وهذه المرة من زاوية العلم ذاته لا نتائجه؛ فله سلطان فوق كل سلطان، ويضطر المستبد إلى استحقار نفسه إذا رأى من يرقى عليه علما، ولا يتحمل رؤية عالم عاقل يفوقه فكرا.[42]

ثم يذكر الكواكبي نتيجة يستخلصها مما تقدم، هي أن المستبد والعلماء بينهما حرب دائمة، وطراد مستمر وهما طرفان يستعملان العوام. "والعوام هم الطرف الذي إذا جهل خاف وإذا خاف استسلم، كما أنهم إذا علموا قالوا وإذا قالوا فعلوا." [43]

وفي كلامه عن الطرفين قدم الكواكبي أفعال العوام في صورة حجاجية شبه منطقية تؤدي إلى الإقناع، متمثلة في حجة التعدية، وهي تقوم على علاقة التعدية ذات الخاصية الصورية، ويمكن اختزالها في قولنا:

(أ) تؤدي إلى (ب). و(ب) تؤدي إلى (ج). إذن: (أ) تؤدي إلى (ج). وفي الجدول تمثيلها كالآتي:

صورة التعدية	(أ) مقدمة1	(ب) نتيجة1، ومقدمة2	(ج) نتيجة2	(أ) تؤدي إلى (ج) نتيجة التعدية
المثال 1	العوامّ إذا جهلوا	خافوا، وإذا خافوا	استسلموا	العوامّ إذا جهلوا استسلموا
المثال 2	العوام إذا علموا	قالوا، وإذا قالوا	فعلوا	العوامّ إذا علموا فعلوا

VIII. الاستعارة الحجاجية:

ويواصل الأديب رحلته الحجاجية في هذا المقال موظفا روابط حجاجية لغوية كانت مُدخلة للنتائج، وبها ينتقل من نتيجة إلى نتيجة وهي: والخلاصة- وينتج مما تقدم- والحاصل. وفي الفقرة المدخلة بكلمة "الحاصل" وظف الأديب الاستعارة الحجاجية.

"وهي استعارة تدخل ضمن الأساليب الحجاجية التي يشغّلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وتحقيق أهدافه الحجاجية. والاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية".[44]

وتطبيقها في خطاب الكواكبي جاء في قوله:: "والحاصل أن العوام يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل والغباوة..." [45]

لقد شبه الكواكبي ما يعانيه العوام من امتهان وهوان بسبب استسلامهم للمستبد بالذين يذبحون أنفسهم بأيديهم، والجامع بين الطرفين هو التعذيب والإفناء الذي يلقاه بعض الناس

بسبب من أنفسهم، وبهذا تكون الاستعارة تمثيلية وهي عبارة عن تشبيه تمثيل حذف منه المشبه وصرح بالمشبه به. وتسلمنا هذه الاستعارة إلى تصور أن ما يلقاه العوام هوعملية ذبح شنيعة، القتل فيها تحصيل حاصل، يضاف إليه طريقة القتل البشعة (الذبح) التي لا تليق بكرامة الإنسان، ثم يضاف إلى ذلك تخيل أن من يقوم بالذبح هم الرعية يفعلون الجرم بأيديهم في حق أنفسهم؛ كونهم مستسلمين. وعليه فإن الصورة البيانية فيها إثارة لعاطفة الشفقة في نفوس المتلقين، وبعث روح الاستنكار والكراهة تجاه الجهل، والوقوف موقف المندّد بالاستبداد، والمعادي له.

والحجة الناجمة عن الاستعارة تظهر فعاليتها الحجاجية في أنها تمثل درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي الذي جاءت الاستعارة تسد مسدّه، فيمكن بذلك أن نترقى بها في الحجاج.

وراح الكاتب يحلل نفسية المستبد الحقير الخائف، الذي يحف به الكذب والنفاق. ولكون الباحث مركزا على جانب الحجاج البلاغي بما يراه كافيا من أمثلة، ترك الكلام عن منطلقات حجاجية متنوعة لا يسود فيها استعمال التقنيات البلاغية، فكانت جافة من حيث الإثارة، وإن كانت مقنعة.

ولو لم يفعل لكان التكرار هو الطابع الذي يلقي بظلال الملل والثقل على هذه الدراسة.

خاتمة:

يلجأ الحجاج الى البلاغة ولا مفر له منها، لأنه يروم الإقناع. والإثارة هي المعبر الى الإقناع. وتوظيف أدوات البلاغة توظيفا جيدا يضمن عنصر الإثارة. والكواكبي لم يكتف بصواب الفكرة او الدعوى أو المبدأ على أنها حجج في ذاتها تجد طريقها الى عقول المخاطبين وتقودهم الى الإذعان والتسليم، بل كان يهتم بجوانب كثيرة في الخطاب تساعد على الاقناع دون أن تحققه منفردة وتعضد الحجج دون أن تؤسسها، إنها الجوانب التي تلتقي في تحقيق الإثارة والانفعال لدى المتلقي فيستجيب لفحوى الخطاب ويقبل على التسليم به.

غالبا ما يستعمل الكواكبي حججا مصدرها الواقع الملموس أو الحقائق، أو المثل أو المعلومة الدينية، وهي حجج تتناسب مع المستوى الادراكي والثقافي للمخاطبين. وذلك ما تفتضيه المقامات التداولية لضمان نجاعة الخطاب ونجاح الدورة التواصلية.

الحجاج البلاغي في خطاب الكواكبي غني جدا بألوان البلاغة؛ فالتشبيه التمثيلي، إضافة إلى كونه طريقة استدلال يناسب السياقات الحجاجية، تزخر عباراته بالأساليب المستمدة من

علمي المعاني والبديع فضلا عن علم البيان. وكلها أساليب ثرية بمحتواها الإثاري؛ الشيء الذي يعكس رسوخ قدم الكاتب في الصناعتين الصحفية والأدبية ضمن التوجه الإصلاحي.

الهوامش:

1 جورج كتورة، (1987)، طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد: دراسة تحليلية، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،بيروت ، ص22، 23.

2 عبد الرحمن الكواكبي،(2006)، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ص24.

3 ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين)، (1994)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2/ 228.

4 أبو هلال العسكري(الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران)، (1987)،الصناعتين: الكتابة والشعر،تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ، ص51.

5 Le Grand Robert, dictionnaire de la langue française;(1990) 1ére édition,, p65.

6 Longman, (1989),Dictionery of contemporary English,

7 الحبيب أعراب، (2010،)، الحجاج والاستدلال الحجاجي ضمن كتاب الحجاج: مفهومه ومجالاته لحافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى، 31/3.

8 طه (عبد الرحمن)، (1988)، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص226.

9 الطلبة(محمد سالم محمد الأمين)، (2008) ،الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، ص108،107.

10 عبد اللطيف عادل، (2013م)، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، ص87، 88.

11 بشير إبرير ، (2001)، في تعليمية الخطاب الأدبي، مجلة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر،عدد8، ، ص75.

12 سعيد يقطين ،(1988م)، انفتاح النص الروائي ، المركز التقافي العربي، الدار البيضاء ،د ط ، ص : 12.

13 خولة طالب الإبراهيمي ،(1997)، قراءة في اللسانيات النصية. مبادئ في اللسانيات النصية جان ميشال آدام ، اللغة والأدب ،الجزائر، عدد 12، ديسمبر ،، ص11 .

14 ابن منظور، لسان العرب: مادة"خطب". مصدر سابق.

15 نور الدين السّد ، (1997)، الأسلوبية وتحليل الخطاب، د ط ،دار هومة ، الجزائر ، ،2/ 1.

16 Emile Benveniste,(1966), Problemes de li nguistique generale 1,2 Gallimard, paris „p :245 3.

17 المرجع السابق، ص 31، 32.

18 صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص80.

19 بوقربة (الشيخ) ، (2001م)، المفاهيم الأدبية في النقد العربي الحديث ، علامات في النقد ، جدة،، السعودية ، ص340.

20 علي أحمد عمران،(2021)، حجاجية المجازفي مقامات بديع الزمان الهمذاني، Ex Professo، المجلد 06، عدد خاص، ص277.

21 عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج/ ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص336.

22 زاهر عواض الألمعي،(1404هـ)، مناهج الجدل في القرآن الكريم، الطبعة 3، ص78.https://www.al-maktabeh.com/

23 المرجع نفسه، ص 78 ،79.

24 يس: 78-79.

25 Chaim.Perelman, (1977) L'empire Rhetorique,Librairie Philosophique, J.Vrin,France2(ed),., p 135

26 عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مرجع سابق، ص 65.

27 هذا اللون البلاغي يذكره علماء البلاغة في باب الإيجاز والحذف، ويعرف عندهم بالاحتباك. "وهو أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابله في الأواخر، ويُحْذَفَ من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابله في الأوائل." وهو من إبداعات القرآن وعناصر إعجازه. ومن أمثلته فيه قوله عزوجل: [قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اقتتلتا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله وأخرى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ العين والله يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذلك لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأبصار] [آل عمران: 13] . أي: "قَدْ كَانَ لَكُمْ آيةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ" مؤمِنَةٌ {تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله وأخرى كَافِرَةٌ} تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الطَّاغوتِ {يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ العين} . ولمزيد من التوسع، يرجع على سبيل المثال إلى :

عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي،(1996)، البلاغة العربية، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ، 54/2.

28 عبد القاهر الجرجاني(أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد)، (2001)، أسرار البلاغة في علم البيان، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ، ص86.

29 عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مصدر سابق، ص 65.

30 المصدر السابق، ص65.

31 المصدر نفسه، ص65.

32 المصدر نفسه، ص65.

33 المصدر نفسه، ص65.

34 المصدر نفسه، ص65.

35 عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، ص215 ،216.

36 المصدرالسابق، ص65.

37 Chaim.Perelman, L'empire Rhetorique,p95

38 المصدرالسابق، ص67.

39 المصدر نفسه، ص65.

40 المصدر نفسه، ص65.

41 المصدر نفسه، ص66.

42 يكتفي الباحث بما سبق تقديمه من تمثيل تخطيطي للمقدمات والنتائج لوضح الفكرة، وتجنب الرتابة.

43 المصدر السابق، ص67

44 زينب هاشم حسين، مقال:قراءة وتقييم في كتاب اللغة والحجاج للمؤلف أبو بكر العزاوي،https://diae.net/44849/

45 المصدر السابق، ص66.

المراجع:

i. مصادر ومراجع بالعربية:

1. بشير إبرير، (2001) ،في تعليمية الخطاب الأدبي، مجلة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر، عدد8، جوان.
2. بوقربة (الشيخ) ،(2001) ، المفاهيم الأدبية في النقد العربي الحديث، علامات في النقد ، جدة، السعودية ، يونيو.
3. عبد القاهر الجرجاني (أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد)، (2001) ،أسرار البلاغة في علم البيان، المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
4. جورج كتورة، طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد: دراسة تحليلية، الطبعة الأولى. د.ت.

5. حافظ إسماعيل علوي وآخرون، (2010)، الحجاج مجالاته ومفهومه: دراسة نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة بإشراف حافظ إسماعيل علوي، الطبعة الأولى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
6. لحبيب أعراب، (2010)، الحجاج والاستدلال الحجاجي ضمن كتاب الحجاج: مفهومه ومجالاته لحافظ إسماعيل علوي، ج 3 ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الأولى.
7. خولة طالب الإبراهيمي، (1997)، قراءة في اللسانيات النصية، مبادئ في اللسانيات النصية جان ميشال آدام، اللغة والأدب، الجزائر، عدد 12، ديسمبر .
8. زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم، ط3، 1404هـ https://www.al-maktabeh.com/
9. سعيد يقطين، (1998)، انفتاح النص الروائي، المركز التقافي العربي، الدار البيضاء، د ط .
10. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، عدد 164، آب1992م.
11. الطلبة (محمد سالم محمد الأمين)، (2008)، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى.
12. طه (عبد الرحمن)، (1988)، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى،
13. عبد الرحمن الكواكبي، ((2006، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، تقديم أسعد السحمراني، دار النفائس، الطبعة الثالثة، .
14. عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، (1996)،البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ج2.
15. عبد اللطيف عادل، (2013)، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى،1434هـ .
16. عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج/ ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.
17. عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د.ت.
18. العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال)، الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت، عام النشر: 1419 هـ.
19. منظور (أبو الفضل جمال الدين المعروف بابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج2.
20. نور الدين السّد، (1997)، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، د ط، ج2.
21. عِمران، ع. (2021). حجاجية المجاز المرسل في مقامات بديع الزمان الهمذاني288-273 , 6(2) Ex Professo استرجع في https://www.asjp.cerist.dz/en/article/168593

مراجع باللغة الأجنبية:

1. Chaim.Perelman, (1977), L'empire Rhetorique,Librairie Philosophique.
2. J. Vrin, France2(ed),. Emile Benveniste, (1966), Problemes de linguistique generale 1,2 Gallimard, paris, France.
3. Le Grand Robert, (1990), dictionnaire de la langue française ; 1ére édition,France.
4. Longman, (1989) Dictionery of contemporary English.

لنقتبس من المؤلف:

سعداني، الأخضر، «كثافة الحجاج البلاغي في مقال الكواكبي "الاستبداد والعلم »،المجلد 07، الرقم01، ص ص 431-455، https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4801